خاتمة

فهم جديد لدور قائد ثورة يوليو في إشعال فتيل ثورات العرب والقارة السوداء

- استطاع كثير من المؤرخين والباحثين أن يؤكدوا على الجذور العربية في التاريخ المصري القديم – وقبل الفتح العربي الإسلامي لمصر – بل أرجع بعضهم فرعون مصر القديم «مينا» موحد القطرين إلى أصول عربية ، ونحن نميل إلى هذا الاتجاه، رغم ما حدث من انعطافه كبيرة وزخم لا ينكره أحد في التوجه العربي الإسلامي في مصر – بعد الفتح – على اتجاهين : اللغة والعقدية ، وانتشارهما في التاريخ المصري خلال خمسة قرون من الفتح.. كما أننا نميل أيضًا مع كثير من المؤرخين على حقيقة التزاوج العربي / الأفريقي ، وانسياح الدائرتين في القديم داخل الوجود المصري بشكل دفع بعض الباحثين الغربيين على تأكيده، ولاسيما جلاوزر وهومل عن حقيقة علاقة الحضارمة بالقرن الأفريقي في القديم، وكما أشرنا من قبل.. ومن ثمّ يمكن أن نقدم هذه الملاحظات ، والتي اعتبرها من «الجدة» ، والتي دفعت عبد الناصر (١٩١٨ – ١٩٧٠) إلى جعل الدائرتين متتاليتين في الاهتمام ، بل كان حرصه واضحًا على تدعيم وإشعال حركات التحرر العربي ، وثوار أفريقيا السوداء ، ومناهضة الاستعمار وتوحيد النضال العربي والأفريقي ضد الإمبريالية والاستعمار الجديد، وليس هذا من قبيل إظهار الزعامة وإبراز البطولة ، وإنما من قبيل الفهم الإستراتيجي والقراءة المتعمقة في جذور التاريخ وخرائط الجغرافيا السياسية

للمنطقتين (العربية والأفريقية)، علاوة على الدائرة الأوسع شأنًا وهي: الدائرة الإسلامية.

ومن ثمَّ .. تحول الفهم العميق لديه إلى عقيدة، وإلى ممارسة ومبادرة، وفعل على الأرض قناعة بالعقيدة السياسيّة، واليقين الإستراتيجي بأهمية الدور المصري داخل هاتين الدائرتين، ومدى تغلغلهما في جذور الوجود المصري.

- ويمكن أن نوضح هذه «الملاحظات»، وهي عبارة عن مقدمات ونتائج ندلل بها على رؤيتنا وفهمنا، ونبين فيها حقيقة ما قام به عبد الناصر من تدعيم للثورات العربية (الجزائر / اليمن / السودان / العراق / ...إلخ)، وأيضًا ما قام به من تقديم ومناصرة للقضايا العربيّة، ومناهضة الاستعمار، ومحاصرة إسرائيل (الصهيونية)، وإيصاد الباب الأفريقي دون توغلها داخله، وتدعيم الثورات الأفريقية ومكاتبها السياسية، وإنشاء إذاعات موجهة معبرة عن حركاتها الوطنية، وخلق تواصل بين المكاتب السياسية في القاهرة والعواصم الأفريقية.

وتتجلى هذه الملاحظات في الآتية:

١ - أن العديد من الباحثين الغربيين والعرب والمختصين في تقصي التاريخ القديم للمنطقة العربية والأفريقية قد زيدتهم ترجيح الأصل السامي للمصريين مع عدم إنكار اختلاطهم بأجناس أخرى، كالحاميين، بل أكدت دائرة المعارف البريطانية على أن شعوب من أفريقيا، ومن آسيا الغربية كانت تقطن وادي النيل منذ ما يقرب من أربعمائة ألف عام، وأن هذا الاتصال السكاني والتفاعل البشري القديم شارك في صنع حضارة مصر القديمة.. وأن التأثير

العربي (أو السامي) كان له تأثيره في العصور القديمة قبل الهجرات العربية بعد الفتح ، وأنه وكما يذكر جمال حمدان (١٩٢٨ – ١٩٩٣) في دراسته العبقرية «شخصية مصر» (أن هناك أكثر من عشرة آلاف كلمة بين المصرية والعربية) .. كما ذكر عديد من العلماء الغربيين «المدققين» بأن منطقة أفريقيا ما هي إلا عربية الأصل نتيجة الهجرات العربية القديمة ، وأن هناك اتصال وتزاوج كبيرين بين الأفارقة والعرب – قبل الإسلام – بينه العالم الغربي دولار جلاوزر، وكذا العالم هومل Hommel ، والذي أكد على أنّ الحضارمة القدماء أقرب العرب الجنوبيين إلى الحبشة الجنوبية.

٢ – أن القراءة النهمة ، والإطلاع الدقيق لقائد ثورة يوليو (جمال عبد الناصر)، وإطلاعه الواسع للمنطقة العربيّة ، وكذا الأفريقية وللتاريخ القديم وتخصصه في دراسة الإستراتيجية العسكرية والتكتيك والتدارس الخصب لأفكاره الثورية وللتجارب العربية والعالمية ، وأن فترة الخمس سنوات (١٩٤٣–١٩٤٨) ، والتي قضاها أستاذًا في الكلية الحربية (بعد حصوله على رتبة نقيب أركان) فترة مهمة على كل المستويات ، ولاسيما على المستوى الفكري والثقافي ، فقد قرأ الكثير من الكتب ، التي كانت تزهو بها خزانة الكلية الحربية ؛ حيث أن لائحة الكتب تحتل الرايخ الألماني وهتلر محل نابليون والثورة الفرنسية في قراءاته السابقة، كما استحوذت على اهتمامه الثقافي كتب عن اليابان ، وسبعة كتب في حوض البحر الأبيض المتوسط، وثمانية كتب في تاريخ مصر ومشاكلها، ودراسات ويفل ، والحملات العسكرية في العراق ، وانصرف أيضًا إلى المراجع وأمهات الكتب في اختصاصه الدقيق في الثقافة العسكرية، فقرأ مؤلفات فولر وليدل هارت ، وغيرها من القادة ، كما أن من الكتب الهامة ، والتي حظيت

باهتمامه ، وبلورت عديد من الأفكار والمفاهيم لديه كتاب «مغامرات في المتوسط» لريتشارد ماكميلان ، فقد رأى فيه عبد الناصر (١٩١٨ - ١٩٧٠) مصدر إغناء للتجربة العسكرية ، وبخاصة في الفصل الذي يتحدث فيه مؤلفه عن جيوش أفريقيا حديث العارف المدقق[١].

أي إن عبد الناصر (١٩١٨ - ١٩٧٠) كان ملمًا بالتاريخ العربي والأفريقي ، وكذا الدراسات الأخرى ، من خلال قراءاته النهمة ، ومن خلال دراساته المتخصصة في الإستراتيجية وفنون القتال.

٣- ونتيجة للمقدمتين السابقتين: أن يكون لدى عبد الناصر قناعة تصل إلى درجة العقيدة السياسية بأن الدائرتين (العربية والأفريقية) متلازمتان ومرتبطتان بالقضايا الإستراتيجية والمصيرية (المصرية) ؛ ولذا قد ضمنهما بالإضافة إلى الدائرة الإسلامية في كتابه «فلسفة الثورة» على اعتبار أنها قد وصلت جدليًا إلى مصاف العقيدة واليقين السياسي ، فيقول عبد الناصر في هذا الشأن : «فليس عبثًا أن بلدًا في جنوب غرب أسيا يلاصق الدول العربية تشتبك حياته بحياتها ، وليس عبثًا أن بلدًا يقع في شمال شرق أفريقيا ، ويطل من على القارة السوداء ، التي يدور فيها اليوم أعنف صراع بين مستعمريها: البيض و أهلها السود من أجل مواردها، التي لاتحد ، وليس عبثًا أن الحضارة الإسلامية والتراث الإسلامي ، الذي أغار عليه المغول، الذين اكتسحوا عواصم الإسلام القديمة -تراجع إلى مصر - وآوى إليها ، فحمته مصر ، وأنقذته عندما ردت غزو

(١) د. بثينة عبد الرحمن التكريتي : جمال عبد الناصر ، نشأة وتطور الفكر الناصري، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٠ ، ص١١٥ ، ١١٦.

المغول على أعقابه في عين جالوت ، كل هذه حقائق أصيلة ذات جذور عميقة في حياتنا ، لا نستطيع مهما نحاول أن ننساها أو نفر منها»[1].

وقرر في مضمار يقينه السياسي قائلًا في فلسفة الثورة: « أيمكن أن نتجاهل أن هناك دائرة عربية تحيط بنا ، وأن هذه منا ، ونحن منها ، امتزج تاريخنا بتاريخها، وارتبطت مصالحنا بمصالحها حقيقة وفعلًا ، لا مجرد كلام؟ .. أيمكن أن نتجاهل أن هناك قارة أفريقية ، شاء لنا القدر أن نكون فيها ، وشاء أيضًا أن يكون فيها اليوم صراع مروع حول مستقبلها ، وهو صراع سوف تكون آثاره لنا أو علينا سواء أردنا أو لم نرد؟ .. أيمكن أن نتجاهل أن هناك عالمًا إسلاميًا تجمعنا وإياه روابط لا تقرّ بها العقيدة الدينية فحسب وإنما تشدها حقائق التاريخ؟»[2].

٤- تحولت القناعة السياسية واليقين السياسي من الكمون إلى العلن ، أو كما يقول المناطقة من القول إلى الفعل ، أو من اليقين السياسي إلى المبادرة والفعل ، أي أن عبد الناصر (١٣٣٦ – ١٣٩٠ هـ - ١٩١٨ – ١٩٧٠م) انتقل بعد يقينه إلى دائرة الفعل من تدعيم حركات التحرر العربي والثورات العربية ، وإمدادها بالمعونات العسكرية واللوجستية والدعائية والإعلامية من أجل تحرير الإرادة العربية واستقلال وحق تقرير المصير العربي وكذا الأفريقي ، وقد ظهر ذلك جليًا من خلال دراستنا السابقة، وما قام به في الجزائر ، واليمن ، والسودان ، والعراق، وليبيا ، وتدعيمه لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وما قام به من مناصرة

(1) جمال عبد الناصر: فلسفة الثورة ، مدبولي ، طبعة ٢٠٠٥ ، ص٥٩ ، ٦٠.

(2) جمال عبد الناصر: مرجع سابق ذكره ، ص٥٩.

القضايا العربية في الصومال، والأردن، ولبنان ، ومقاومة الأحلاف العسكرية الاستعمارية، وما قام به أيضًا على المستوى الأفريقي من استقبال المكاتب السياسية لحركات التحرير ، وتوجيه وبث الإذاعات الموجهة بكل اللغات الأفريقية ، وتدعيم الثورات في كينيا والكونغو .. وغيرها ، وتدعيم هذه الحركات والثورات الناهضة بكل وسائل التدعيم ، فكان بمثابة الأب الشرعي للثورات الأفريقية وزعمائها.

٥- إن ما قام به عبد الناصر من تدعيم الثورات وحركات التحرر في المنطقة العربية والقارة السوداء ما هو إلا نتاج لجدلية العلاقة بين الوعي والأداء والفكر والواقع والفهم والممارسة وتأثير الفكر على ممارسات الواقع.. فقد وعى عبد الناصر(١٩١٨ – ١٩٧٠) من خلال القراءات النهمة والجادة والمستفيضة ، وفهم واقع المنطقة العربية والأفريقية ، والتداخل بينهما والتزاوج ، فأثمرت هذه «الجدلية الفاعلة» ، وأدت إلى تدعيم وممارسات وأداء لصالح الشعوب العربية والأفريقية، وإخراجهما من ربقة الاستعمار الغربي ، ومناهضته بشتى صوره وأشكاله.. ومحاصرة إسرائيل «الصهيونية» ، ومنع تدخلها في الشأن الأفريقي ، وتطويق تدخلها ، ومقاومة الأحلاف العسكرية الاستعمارية منعًا لتسريب الفكر الاستعماري للمنطقة العربية أو غيرها من دول العالم الثالث.